

# هوى نواتنا

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشوير

لقد كانت الجزيرة العربية - حيث الحرمين الشريفين ، ومهبط الرسالة  
المعمدية - محط الانتظار ، وماوى الافكار ، وملاذ المسلمين في مصورهم  
المختلفة خاصة عندما تلم بهم الكوارث ، وتحيط بهم الفتن \* هذا بالنسبة  
للمعتقد ..

اما الناحية العلمية : فان الارتباط الروحي بالاماكن المقدسة ،  
دفع بكثير من العلماء عدم الاطمئنان على ثمرة جهودهم ، وتراث امتهم في بلاد  
بعيدة عن الحرمين \*

ذلك ان الكوارث التي مرت بمواطن الحضارة الاسلامية في بغداد  
والقيروان والاندلس ، والعداء المستعكم الذي دفع بالقتار والصليبيين في  
حقدهم على الاسلام ، الى احراق الكتب العربية في امهات المدن الاسلامية التي  
استولوا عليها في حروبهم المتعددة مع الاسلام ، هذه الكوارث جعلت المسلمين  
يرتبطون بمنبع الرسالة ، ومهابط الوحي ، كلما حز بهم امر ، او آلت بهم  
كارثة \*

فكانت المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ورباطاتهما ، وما يرد اليهن من  
الكتب والتفاس معط انظار طلاب العلم ، وراغبي المعرفة ، حيث تمتلىء  
الغرائن بالجيد من المخطوطات ، والنادر في شتى العلوم \*

ولن نتعرض لما تسرب من هذه الخزائن ، الى مكتبات شترپتي بايرلندا ولندن وغيرهما .. فهذا ما تكفل به علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في أكثر من مناسبة (١) .

ولكن الذي يجب أن يشاركني فيه القارئ هو التعريف بمخطوطة نادرة ، وفيما يبدو أنها متصيح النسخة الوحيدة في العالم ، هذه المخطوطة هي : « المصون في سر الهوى المكنون » ومؤلفها : أبو اسحاق المصري القيرواني (٣٦٣ - ٤١٢) (٢) .

وان التعريف بهذا المخطوط القيم ، يستوجب الاقفاضة في الحديث عنه ، ومن من أشاء به من ذوي الاقلام حديثاً ولدينا .. وتعريف بضمومته ومحتواه .. ووصفه له .

### منزلة الكتاب عند الباحثين :

أول من ذكر المصون في سر الهوى المكنون تلميذ المصري الأصغر : الحسن ابن رشيق ( ١٠٠٠ - ١١٥٦ هـ ) (٣) .

ووصفه ابن خلكان ( ٦٠٨ - ٦٧٤ هـ ) بأنه مجلد واحد فيه ملح وأدب (٤) .  
وقد حلق السنوسي على إشارة ابن رشيق بأن هذا الكتاب لا يزال منه نسخة خطية في مكتبة ليدن بهولندا .. وأخرى في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة وتقع في أربعمائة صفحة كبيرة (٥) .

أما ابن السراج ( ١٠٧٠ - ١١٤٩ هـ ) فقال عن المصري : ومن كتبه : كتاب المصون في سر الهوى المكنون ، في مجلد واحد فيه ملح وأدب ذكره ابن رشيق في كتاب الأنموذج (٦) .

وقال عنه علامة تونس حسن حسني عبد الوهاب رحمة الله أن مشه نسخة  
بمكتبة ليدن بهولندا كما ذكر أنه يسمى أيضا المصون في الدر المكنون (٧) . إلا أن  
الشيخ عبد العزيز البشري ( ١٣٦٢ هـ - ١٣٠٠ ) يرى أن هذه التسمية من ياقوت  
الحموي ( ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ (٨) .



طرفة الكتاب

وقد استفاد الشاذلي بويحيى من هذه المعلومات حيث استطاع الاطلاع على نسخة هذا الكتاب المخطية بمكتبة ليدن ، ورأى أن محتواه : كحديث بين متحاورين ، وأنه دراسة تحليلية لمأطفة الحب ، وأن فيه مشابهة لطوق الحمامة لابن حزم ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ) ( ٩ ) .

لكنه لم يشر الى حجمه ، أو عدد صفحاته ، كما أنه لم يشر الى النسخة الموجودة في المدينة المنورة ، مما يدل على اكتفائه بالنسخة الموجودة في ليدن ( ١٠ ) .

وهي أحمد بن عامر أنه مجسوة أخبار وتوارد ، وتوصى مختارة من الشعر ( ١١ ) .

## وصف المخطوطة :

هذه الأراء والتعريفات دفعني لواصله البحث .. ومحاولة الحصول على نسخة من هذا الكتاب النقيس .. وأغلب انارة الاذهان بتعريف واضح ، وجلاء ما يعثري الألفهام من تعريفات مقتضبة .. هذا سبب .

ولكن الجانب المهم ، والسبب الآخر هو أن هذا المخطوط النادر تحتويه مكتبة من مكتبات بلادي ، التي تشرتب إليها أعتاق المسلمين ، وتهفو لسماعها أفئدتهم ، حبا في العقيدة ، وإيماننا بروحهم الاسلامية .

ولكنني وبكل أسف أرى جهودنا قاصرة عن إيفائها حقها من التعريف والانارة، أو المشاركة في نشر ما تشتمل عليه من تراث ، وثروات علمية .

ولعل في بحثي القاصر ، ما يقتض باها جديدة لرعاية تراثنا ، وإظهاره بما يجب من نشر وتعريف .. وحماية وصيانة ، وتنظيم لمكتبات الحرمين الشريفين لتكون محط أنظار لراغبي المعرفة ، والمتعمقين في البحث العلمي .

فالمخطوطات في كل بلد كنز ثمين ، وثروة لا تقدر بمال ، لا يعرف قدرها الا من حرمها ، أو بذل الجهد والجهد في طلبها .





أن النسخة التي رجعت إليها من كتاب : المصون في سر الهوى المكنون هي النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بأشدنية المتورة تقع في مائة وسبع وعشرين ورقة «١٢٧» ، كل ورقة صفحتان من القطع المتوسط (١٢) \* والنسخة كاملة بمقدمتها وخاتماتها \*

وقد قسم العصري كتابه هذا الى جزأين يبدأ الجزء الثاني ببداية الورقة «٦٢» ، ولم أجد في طرة الكتاب أو شأناه ما يدل على أنه يسمى المصون في الدر المكنون - كما قال حسن حسني عبد الوهاب \*

ولو قد كنت احشوا ما قبله في سر الهوى المكنون  
وقال مسلم بن الوليد  
جعلنا علامات الموت بيننا دقايق لحظ هزنا  
من السحر  
فاعرف منها الوصل في ليل طر فيها واعرف منها الدار  
وقال العباس بن الاحنف  
يا فريكا عني تغير قلبه ساكت نفسي قبل التفرقا  
واصدعك وفي يدي بقية حبل وذلك قبل ان تصدق  
يا للرجال لها شقين نواقفا نقاطها من غير ان يتكلم  
حتى اذا خافا العيون واشفتا جعلنا الاشواق بالاناس  
وقال البحتري  
يتبسم زورا حواشي الوبط عير دآقجوان الشفور  
وتسرقن والوقيب قريب لحظات تخليسن ستر الضمير  
ضعف الدهر عن هوانا وما الدهر على كل دولة بقدير  
وفرضه هذا الباب قول بعض الاعراب

بل عنوانه على الطرة : المصون في سر الهوى المكنون .. وهكذا لوح المصري  
الى هذا العنوان يتوله في المقدمة يصف عمله الثاني : فوشى ديباج هذا المصون  
في سر الهوى المكنون (١٣) .

وقد كتب الكتاب بخط النسخ ، ولم يتضح لي زمن كتابته ، أو اسم النسخ ،  
لكن الطرة والصنعة الأخيرة منه قد كثر بثلثهما ، فلا يستبعد مع ذلك شياع بعض

تسبب ... لهذا ما لا يُرَى ، فمما لا يجلا يصعد الليل  
هائمًا

فوضنا ما ناري بالعشيات والأصمى إلى الفروخ العيون  
كلامها

وأبهرنا ما نمت الأحوال على أهل الضرور

عنى بضروب العذر ثم الجزر الأول من

المصون في سر الهوى المكنون بملوه

في الثاني وقال أحمد بن أبي قحز

أحمد مصلانه على محمد وآله وسلم

رحم الله أعمى المذ

نهاية الجزء الأول من الكتاب



الكلمات التي ترشد الى ذلك .. وكلما استطعت تبينه من العبارات الواردة على الطرة هي :

عبارة « من كتب الدواوين » تحت هذا الرقم « ٦٠٢ » ، واعتقد ان هذه العبارة حديثة الكتابة ، ذلك ان موضوع الكتاب لا يندرج تحت مسمى الدواوين ، كما ستوضحه في التعريف به .

وقد جاءت عبارة « من كتب الادب » تحت هذا الرقم « ٨٠٠ / ٧٧٢ » ، ولعل هذه العبارة الحديثة - والتي اعتقد انها مع سابقتها من عمل المنهرسين ، للمكتبة - اقرب للصحة ، فالادب باب واسع ، تدخل تحته الدواوين والمتنوعات والموضوعات المتخصصة (١٤) .

وتحت ختم التملك الذي يثبت امتلاك محمد عارف حكمت الله بن عظمة الله الحسيني من مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أورد الناسخ هذه العبارة :

اعلم أن مؤلف هذا الكتاب أبو اسحاق ابراهيم القيرواني الشهير بالحصري صاحب كتاب زهر الادب وغيره ، ثم أورد من شعره ثلاثة أبيات (١٥) .

وفي الورقة الاخيرة أورد الناسخ الوجه الاول من الورقة « ١٢٢ » لأبيات شعرية اختارها ولم ينسبها لقائل ، ولم تكن من شعر الحصري الذي استقصيته .

ومع ما تمتاز به هذه الورقة من كثرة البلبل والرطوبة بحيث انطمس أغلب ما فيها من عبارات .. فهو يقول : « تم كتاب المصون في سر الهوى المكنون والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله الطيبين ، وحسينا الله ونعم الوكيل ، وما توفيتي الا بالله عليه توكلت ثم . يوسف » ويبدو أن هذا هو اسم الناسخ لكنه لم يزده تعريفاً . ويردف الناسخ في ابراد مجموعة من الأبيات المقطعة منها هذان البيتان :

أحمل قلبي كل يوم وليلة  
هوما على من لا أنور بخيره

كما سود القصار في الشمس وجهه  
ليجهد في تبيض أسواق خيره

ومعدل ما تحتويه كل صفحة خمسة عشر سطرا ، ولا يزيد كل سطر عن ٩ كلمات .

## موضوع الكتاب :

هذا الكتاب كما أشار اليه الشاذلي بويحيى : « حوار بين اليقين ، نشأ في وفاء وصفاء » . انتحل المصري شخصيتهما ولم يكن هذا الحوار خيالاً الا في انتحال الشخصيتين فقط ، لأنه حديث تقرير عن واقع الحب وسائله ، كما تعارف عليه الادباء والفلاسفة ، وليس الكتاب حواراً من أوله الى آخره ، وإنما يكون الحوار تمهيداً لما سيسوقه من أخبار العشاق وأشعارهم .

وعلى المنوم قاتنا نستبين من موضوع الكتاب أموراً مهمة في الأدب العربي : ذلك أن طريقة المصري التي اتخذها حواراً في كتابه ، رد على الزاعمين بأن الأدب العربي ناقص في خياله ، قاصر في خروجه ، بعيد عن محاكاة أدب الغرب في الحوار والموضوعية .

لهذا الكتاب يمتاز بالخيال الواسع ، فالمصري عندما يتقمص هاتين الشخصيتين ، فهو يحيط بجوانب الحب وخفاياه ونوازمه وأهوائه ، في أسلوب جذاب وعبارات عسقة .

ثم انه يقتصر على موضوع واحد يلتزمه ولا يحيد عنه ، وهذه هي الموضوعية ووحدة الهدف حسب مصطلح الأدب الحديث . . . ويتدر مثل هذا الأسلوب في غالبية الكتب الأدبية القديمة التي يبرز فيها الاتجاه الى العشد والجمع حسب مدلول الأدب عند العرب : بأنه الأخذ من كل فن يطرف .

وفي حوار المصري تمتزج أرواح الألفين بالمحب الرقيق ، والتلطف في كسب الود ، في أسلوب هادئ يثير كوامن القلوب ، ويولد الهوى ، وهذا ما سار عليه الأدب الحديث في الحوار المسرحي .

ولذا نعتبر المصري رائداً في هذا المضمار .

فهو يبدأ الحوار بقوله : التقي اليقان نشأ في عراض الصفاء . ورتما في دياض الوفاء ، وألصق الاسترواح الى مياثة السرائر ، وتألّفنا على استشارة ما في الضمائر (١٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 وقال أحمد بن أبي فزارة  
 ولما أتت عيناى أن تعلمك البكا وان حشاى الدموع  
 السواك  
 تنابت كى لا ينكر الدمع منكرو ولكن قليل ما بقا الشا  
 اعرضت على الهوى ونمتا على البس الصا حبان لصا حبيب  
 ولما بشارا بالانفاسيه فقال له يا ابا اسحق انشدني  
 من احسن ما علمت فانشده  
 كم صديق لي اشار به الكافر الحية  
 فادانظن لاني فاقول تالى من بكاء  
 لاكن ذهبت لا تترك فطرف عيني بالورد  
 فقال احسن اما انك سوتقه فقول  
 كمت عواذ لي تالى فوادي وقلت لهن ليهتم بهي  
 فاضت عبرة اشفت منها كان مضيل وابلى اخويد  
 فقالوا قد بكيت فقلت كلا واصل بكى من الحرب الجليل

ولكني أصاب سواداً في عيني فدفني فيه في حديد  
 فقلوا ما لا سمعنا سوا الكلفي . ولما أصاب عود  
 اتيل دموع عينك خبزتنا ما الخفت زفرتك المصعود  
 وقال آخر انشدته اسعدي بن وقتب العدا دكر  
 انهمون في اغري يكتمها حق الدعوه صب ان تجيبوها  
 اهدي اليكم علي بعد نحت خبوا باحسن منها او فردوها  
 وثمر المطايا غداة البين وارجلوا وحلفوني على الا طلالا  
 شيعتهم فاستدروني فقلت ثم اذ يعض مع الاحمال لدموعها  
 قالوا فانفس يملوا كذا صعدا وما لعينيك في وثني اقيمتها  
 قلت التفتس زيدا بتيبركم والعير تدرى دمعاً قد فدا  
 حتى اذا رطلوا والليل معتل خفت في جعه صوباً اادبها  
 يا ربها النجبان ومجمل صل الى الوصل مرعبي ارجبها  
 نفسي تاق اذا شيعت ركايبكم فان ذمتم الى هلي فتوقها  
 وقال العباس بن ابي احنف  
 امي يكار على هواك دليلاً فارجره وعك ان بعض هواك



وتجسد ظاهرة الاستطراد بارزة عند المصري في شأيا حوار ، كما هي عاداته  
عندما يريد اقناع القارئ ، وإزالة الرثابة أو السأم ، وذلك بإيراد شواهد تمكن

كل جانب من جوانب موضوعه ، وترسخ مناسبة المعنى الذي تضمنه حوار ، ومع  
هذا يجره حوار الى مناسبات أخرى غير بعيدة عن موضوعه .

واستطرادات المصري في هذا الكتاب تجعلنا نعلم بأنه يسوق ذلك للتفسير  
والاستدراك .

ولذا لا تمارش بين قول الشاذلي بويحيى أنه حديث بين متعاورين وأنه  
دراسة تحليلية لعاطفة الحب ، ذلك أن الحوار الذي ساقه المصري يشعر بذلك .

وبين قول أحمد بن عامر : أنه مجموعة أخبار ونوادر ، ونصوص مختارة من  
الشعر ، إذ أن استطراداته وشواهد التي يوردها تبرز هذا الجانب بصورة خفيفة لا  
تستحق الحكم المطلق .

ذلك أن الكتاب عند تنقيده بموضوعه حوار بين أليفين ، ودراسة لتحليل عاطفة  
الحب ، كما أنه في استطراداته مجموعة أخبار ونوادر يوردها على سبيل جمع الأشياء  
والتطائر .

وللاختصاص في الموضوع ، لا نستبعد أن ابن حزم ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ) قد  
استفاد منه في كتابه طوق الحسان ، الذي قصره على هذا الموضوع أيضا ، كما لا  
نستبعد أنهما استقيا مويبا من مشرب أوجده محمد ابن داود الظاهري ( ٢٥٥ -  
٢٩٧ هـ ) ، في كتابه الزهرة ، فهو قدوتهما في هذا الموضوع - وهو السابق لهما في  
الاختصاص كما أنه مثل أعلى لابن حزم في مذهب الظاهرية ، أما المصري فمع  
موافقته لابن داود في منهله الأدبي إلا أنه لم يعرف عنه الانتماء عقيدة أو القول  
بالباطن .

## الهوامش والمصادر

- (1) لقد امتدت الأيدي مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وتسربت بعض موجوداتها إلى مكتبات العالم . وقد أشار الشيخ حمد الجاسر إلى نماذج مروعة من تسرب ثقات هذه الغزاة بطريق غير مشروع . وقد وجدت صور من المخطوطات تحمل اسم المكتبة بمكتبات شسترشي ولندن .. انار هذا على صقلات مجلة العرب في أكثر من مرة .
- (2) انظر شعراء القيروان من النماذج الزمان جمع زيد الدين السنوسي ، ص 14 ، وقد ذكر ذلك الصلبي في الوالي بالوفيات ، ج 6 ، ص 61 ، منسوباً عن ابن رشيقي .
- (3) وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص 37 .
- (4) العصري - يضم الحاء - و - سكون الصاد - نسبة إلى عمل العصر وبهجتها كما قال ابن خلكان ، وفيات الأعيان 1 : 28 .
- (5) انظر شعراء القيروان من النماذج الزمان ، ص 14 العاشية ، وذكره الزركلي في الاعلام ، ج 1 ، ص 7 ، عن مذكرات القيمي ، ولأنه يأن رقبه 777 .  
كما ذكره حاجي خليفة في كشف القنون ، ج 2 ، ص 1712 ، وعنه نقل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ، ج 8 ، ص 109 .
- (6) العزل السندي ، تعقيق محمد الحبيب بن الهيلة ، ج 1 ، ص 277 .
- (7) مجلة الثريا التونسية ، السنة الأولى ، المجلد 9 ، ص 8 .
- (8) ملحة البشرى لجميع الجواهر وهو أحد مؤلفات العصري أيضاً ، طباعة الفانجي ، ص ج .
- (9) حوليات الجامعة التونسية ، المجلد الأول ، ص 17 .
- (10) لقد حاولت جاهداً الوقوف على معلومات من هذه النسخة ، أو الحصول على صورة عنها وسكنت طرقاً متعددة باحثاً ومنتقياً ، علما الكتابة التي مكتبة في لندن ، والكتابة للفسير الهولندي في جدة .. كما اعانني كثير من الاخوة الذين بذلهم البحث والتنقيب ولم اتوصل

الى نتيجة حتى الآن ٠٠ وايضا في أحد الاخوة الباحثين بأنه اطلع على ما نشرته بعض الصحف  
الحرية عن عزم مكتبات في لندن بيع كثير مما تحويه خزائنها ، واخشي مع هذا فقدان الأمل  
في العثور على النسخة الوحيدة في العالم بعد نسخة المدينة المنورة التي نحن بصندوها .

(١١) الدولة الصنهاجية - ص ٨١ .

(١٢) قال زين الدين السنوسي في شعراء القيروان من النموذج الزمان ، ص ١٩ ، بأنه يقع في اربعمائة  
صفحة كبيرة ، ٤٠٠ ، . ويعني بذلك نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والوجود بالكتبة الآن  
كما وصلت ، وهي التي أحال عليها الزركلي برقم ٧٧٢ ولا أعلم في الكتبة غيرها ٠٠ إلا ان  
يكون السنوسي اطلع على نسخة ثانية غير موجودة الآن ٠٠ لأن مكتبة عارف حكمت امتدت  
اليها الأيدي .

(١٣) المصون ورقة ٢ الوجه الاول -

(١٤) انظر مرة الكتاب .

(١٥) الفقرة ، قد وردت هذه الآيات أيضا عند كل من :

١ - التمعني في كتابه حياة الصيوان ١ : ١١١ .

٢ - الشريفي في شرح مقامات الحريري ٢ : ٣٢٢ .

٣ - ابن طاهر في بدائع البداة ١ : ٢٤٢ نقلا عن ابن بسلام في الذخيرة منسوبا الى شيخ  
للنصري من مشيخة القيروان ولم يسمه .

(١٦) المصون ورقة ٢ الوجه الاول .

